STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY
PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179
www.san.khu.ac.ir

# Plotting Spatial Identity in *The Baghdad Clock*

**Fatemeh Akbarizadeh**[1]

**Abstract**

The study of place and environmental settings within human societies extends beyond mere topographical or geographical inquiry. Place can also be explored through cultural and intellectual lenses, particularly within the framework of literary criticism. As a socio-literary form, the novel not only recounts events but, in line with the theoretical perspectives of Paul Ricœur and Hayden White, engages in *emplotment*—the process of transforming disparate facts into a coherent narrative structure. This entails weaving together spatial environments and their associated events, vividly rendering their features so that they resonate alongside the characters, embodying life in its diversity, strengthening and enriching identity, and serving as a non-historical record of human experience. Shahad al-Rawi's *The Baghdad Clock*, one of the most prominent contemporary Iraqi novels, portrays the socio-cultural realities of Iraqi society within the context of war. The narrative situates Baghdad and its diverse locales at the center of events, allowing the city itself to shape the plot's architecture. In doing so, the novel constructs a multi-dimensional representation of Baghdad as a site of intellectual, civilizational, and cultural identity for its people. This study employs a descriptive–analytical approach to examine the semantic and symbolic dimensions of place in *The Baghdad Clock*. It argues that the novel undertakes a form of historical emplotment by fusing reality with imagination to articulate the evolving identity of Iraqi society—particularly that of Baghdad—across temporal boundaries, from past to future. Through lived experience, the text conveys that the identity of place is inseparable from the identity of the individual. In the narrative, Baghdad emerges as an imaginative and vibrant space where locations become potent symbols of collective memory and belonging, actively contributing to character development and the formation of collective consciousness. The novel blends the real and the imagined to construct a resistant literary image of Baghdad and its locales, crafting a narrative identity rooted in pain, nostalgia, and hope. Locations—from the neighborhood to the Maʾmun Tower, from the grandmother's house to Al-Zawraa Park and the Baghdad Clock—are reframed through the narrator's personal memory, transforming into vessels of cultural, historical, and emotional significance that encapsulate the depth of the inhabitants' collective experience.

**Keywords**: Identity, Novel, Arabic Narratology, Place, *The Baghdad Clock*

[1] Associate Professor - Department of Arabic Language and Literature, Faculty of literature, Alzahra University, Tehran, Iran *f.akbarizadeh@alzahra.ac.ir*

CC BY NC

**Publisher:** Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

Winter (2025) Vol 7, No. 19, pp. 5-20

Received: 30/10/2024 Accepted: 21/05/2025



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

فصلية دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٧٧٤٠-٢٦٧٦
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٠١٧٩-٢٧١٧
جامعة الخوارزمي
مقالة علمية محكمة

# تحبيك الهوية المكانية في الرواية العراقية "ساعة بغداد"

فاطمه اكبری‌زاده[1]

**الملخص**

دراسة الأماكن والمواقع البيئية في المجتمعات البشرية لا تختص بالدراسات الطوبونومية أو الدراسات الجغرافية فحسب، بل يمكن أن ندرس المكان من الناحية الثقافية والفكرية من منطلق الدراسات الأدبية في النقد الأدبي. الرواية كأثر أدبي اجتماعي، تسرد الأحداث وربما من منطلق بول ريكور وهايدن وايت تقوم بالتحبيك أو صياغة الحبكة من الوقائع المتناثرة إلى حكايه منسجمة. إذ تحبيك الأمكنة والأحداث المتعلقة بها، ترسيم لمعالمها الحية، إذ تعلو صوتها بجانب الشخصيات لتمثل الحياة في تنوعها كلها كوسيلة لتعزيز وإثراء الهوية وكوثيقة غيرتاريخية. أما رواية ساعة بغداد لشهد الراوي –من أشهر الروايات العراقية المعاصرة –فتسرد حالات المجتمع العراقي في أجواء الحرب وتركز على بغداد وأماكنها المختلفة كبؤرة الأحداث لجعلها حبكة روائية وترسم خلالها الصورة الفكرية والحضارية والثقافية كهوية أبناء الوطن. هذا المقال يهدف الى دراسة المعالم الدلالية للمكان في رواية ساعة بغداد بالمنهج الوصفي– التحليلي، وتوصل إلى أن الرواية تحاول تحبيك التاريخ بربط الواقع والخيال لترسيم هوية المجتمع العراقي خاصة في بغداد عبر الزمن من الماضي إلى المستقبل، وتحكي المعالم الحضارية والفكرية والثقافية عن المكان حسب التجربة المعاشة، إذ لاتنفصل هوية المكان عن هوية الفرد. تستعرض الرواية بغداد كمجال تخييلي ينبض بالحياة، حيث تتحوّل الأمكنة إلى رموز دالّة على الذاكرة الجماعية، والانتماء لبناء الشخصيات وتكوين الوعي الجمعي. يُظهر البحث أن الرواية تمزج بين الواقعي والمتخيّل لتقديم صورة أدبية مقاومة تسرد عن بغداد وأماكنها، وتصوغ هويتها السردية من عمق الألم والحنين والأمل. فالمكان في الرواية، من المحلة إلى برج المأمون ومن بيت الجدة إلى حديقة الزوراء وساعة بغداد، يُعاد تشكيله من خلال الذاكرة الشخصية للراوية، ليصبح وعاءً لحمولات ثقافية وتاريخية وشعورية تعكس عمق التجربة الجماعية للأهالي.

**الكلمات الدليلة:** الهوية، الرواية، السردانية العربية، المكان، ساعة بغداد.

تاريخ الوصول: ٢٠٢٤/١٠/٣٠ تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٥/٢١
الشتاء(٢٠٢٥م)، السنة السابعة، العدد ١٩، صص ٥-٢٠

[1] الأستاذ المشارک، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب، جامعة الزهراء، طهران ، ايران. f.akbarizadeh@alzahra.ac.ir

CC BY NC

الناشر: جامعة الخوارزمی والجمعية الايرانية للغة العربية وآدابها



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

**١. المقدمة**

الرواية نوع أدبي ممتاز يختلف عن سائر الأجناس الأدبية، فهو سجل هوية المجتمع ومرآته. تشمل الرواية الأبعاد الحضارية والثقافية والفكرية لشعبها انطلاقاً من واقع حياتها إلى رؤيتها المستقبلية. كما أنّ الرواية فعالية اجتماعية، قد ظهرت لتمثل الحياة في تنوعها كله، وتنفتح على الحياة بمجملها وبتفاصيلها ومفرداتها، وتسرد صراع الأنا والآخر من أجل اثبات الهوية (الرمادي،٢٠١٤: ٥٠).

هناك علاقة وثيقة بين العالم التخييلي للرواية وعالم الواقع والذي يهتم بتسجيله التاريخ. فالرمادي يبين هذه العلاقة بقوله أنّ الرواية منتج أدبي اجتماعي والعلاقة بين الرواية والمجتمع تقوم على التغذية والتلقي؛ تغذية المجتمع للروايه وتلقيه لها، فانسان المجتمع وعلاقاته بما حوله وتفاعله مع من حوله المنبع الذي يستفيد منه الروائي مادة روايته. إذ الرواية تشمل القضايا الإنسانية وتسجل الأهداف تسجيلاً فنياً دقيقاً وتجعلها وثيقة غير تاريخية لا يرى فيها الإنسان الواقع بل يرى فيها حقيقة الواقع وجوهره (م.ن: ٤٨-٤٩). كما ناقش ايكو Eco(١٩٩٤) هذه العلاقة ورأى أن كل عالم الخيال يتأسس بشكل طفيلي على عالم فعلي أو واقعي يتخذ منه العالم الخيالي خلفية، فهنا ندخل عالما خياليا تستدعيه قصة ونتخيل أنفسنا نتجول في شوارع مدينه أو هضاب بلدة يوضع فيها فعل السرد نتصرف في هذا العالم وكأننا في عالم حقيقي، ويحدث ذلك حتى ونحن نعرف أنه مجرد نموذج سردي له (بروكمبير،٢٠١٥: ٩٥).

هناك مسألة هامة عن المكان في القصة؛ هل يتعلق بالواقع الخارجي(التاريخ) أم نتيجة التخييل الروائي؟ فللإجابة عنها يمكننا أن ننطلق من طبيعة التاريخ والرواية ومادتهما لكي نوضّح العلاقة الوثيقة بينه وبين الرواية. ففي النظرية التقليدية للأدب وحسب فكرة واقعية التاريخ بما هو تسجيل للأحداث، ولاواقعية التخيل الروائي، فتعتبر الرواية والتاريخ نوعين مختلفين، فيحتكمان إلى قدرات عقلية مختلفة لا تجتمع معا، وهذا التمييز القديم يعود إلى شعرية أرسطو التي ميز بين الشعر والتاريخ. أما هناك موقف آخر فيعتقد بأن الرواية والتاريخ يشتركان في شكل السرد أولا وفي العمق الزمني للتجربة البشرية ثانيا؛ وذلك من حيث أن التاريخ والرواية يسعيان إلى توضيح التجربة البشرية من خلال وضعها في صيغة سردية بحيث تظهر الأحداث ضمن مسار زمني مترابط وذي دلالة وهو ما يسميه بول ريكور وهايدن وايت بالتحبيك أو صياغة الحبكة أي مجموعه التنسيقات والترتيبات التي تتحول من خلالها الأحداث المتناثرة والوقائع المتناثرة إلى حكايه منسجمة وذات معنى (كاظم، ٢٠١٦ : ١٢٧-١٢٨)، والفكرة التي تكرس عليها بول ريكور وهايدن وايت واحتفى بها التاريخيون الجدد وكتاب ما بعد الحداثه؛ فالتاريخ انشاء نصي للماضي وهو إنشاء ذو طبيعة سردية وتخيلية (م.ن: ٧١)؛ إلا أنّ كلا من المؤرخ والروائي يوظّف خياله في لحظه تشييد السرد التاريخي أو التخيلي، فالمؤرخ يرغب في التطابق مع الوثائق والروائي لا يرغب فيه (كاظم، ٢٠١٦ : ١٣٣). التاريخ و الرواية يشتركان في كونهما سرد الأحداث والرؤى. كلا المؤرخ والروائي يوظّف القدرة التخيلية في تصور الأحداث وملء الفجوات في المعلومات. ومع ذلك، يلتزم المؤرخ بمنهجية صارمة تعتمد على الوثائق والأدلة التاريخية بهدف تحقيق قدر أكبر من الموضوعية والمطابقة للواقع الماضي. بينما يتمتع الروائي بحرية أكبر في استخدام الخيال لإنشاء عوالم وشخصيات وأحداث تخدم أهدافه الفنية، والمعرفية والسردية، دون التقيد بالضرورة بالواقع التاريخي. ورغم هذا الاختلاف في المنهجية، يشتركان في جوهر عملية السرد كأداة لتنظيم وتقديم الأحداث والأفكار. وهناك الفرق بين التاريخ والماضي. فحسب نظرية شلينغ، الماضي يفترق عن التاريخ؛ فالتاريخ يصنع المعرفة بما صار، أمّا الماضي فهو صانع الذاكرة، ومتى ما تصنعت الذاكرة فإنّها تأخذ مسارها في تنسيق الذات (أي تحكيم النسق في رؤيتها و في سلوكها) (غذامي، ٢٠١١: ١٩٨). الماضي هو كل شيء حدث وانتهى. أمّا التاريخ فهو الطريقة التي نفهم بها هذا الماضي ونكتب عنه. الماضي يصنع ذكرياتنا، وعندما تتشكل هذه الذكريات، فإنّها تؤثّر على طريقة رؤيتنا لأنفسنا وسلوكنا. فالمكان الروائي يرتبط بالواقع التاريخي السردي وبالماضي والذكريات.



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

الرواية تحبيك للذاكرة التاريخية للشعب وهي تنسيق للذات والمجتمع، فتجدر دراستها لفهم واقع الحياة من منظور الروائي الذي تسرد الوقائع. أمّا تحبيك الهوية المكانية، فهو مفهوم يتعلق بتشكيل وتطوير هوية مكان معين بناءً على مكوناته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والطبيعية. يهدف هذا المفهوم إلى تعزيز الانتماء للمكان عبر ربط الناس بالمساحات التي يعيشون أو يتفاعلون فيها وذلك من خلال فهم الخصائص الفريدة للمكان ودمجها مع تجارب الأفراد وسلوكياتهم. وبما تنطوي الرواية على مختلف العناصر من الشخصيات والبؤرة والحدث والزمان والمكان، إلا أن هذا الأخير يكون موضع اهتمام هذه الدراسة بما هي أكثر اتصالا بالواقع والتاريخ. فتدرس رواية شهد الراوي للكاتبة العراقية بالمنهج الوصفي التحليلي وتكشف اللثام عن معالم هوية المجتمع البغدادي خلال تعايشه الحرب ومعاناتها ودمارها و... . فالدراسة تجيب عن الأسئلة التالية بشأن رواية «ساعة بغداد» لـ«شهد الراوي»:

١. كيف تسرد بغداد ومواقعها في العالم التخييلي للرواية؟

٢. ما معنى الهوية السردية في الرواية عبر تحبيك المكان؟

### ١. ١. الدراسات السابقة

بما أن رواية «ساعة بغداد» تمتاز بلغتها وأسلوبها الروائي وموضوعها السردي، فهي نالت اهتمام الباحثين والدارسين؛ ومنها: المقال لسعدالله همايونی وحورا نباتی (٢٠٢٣) «رواية ساعة بغداد في ضوء الواقعية السحرية» يدرس السحر والخيال والأسطورة في النص لترسيم أجواء الحرب و الحصار. مقال لسميه نيک فر وأردشير صدرالديني ومصطفى يگانه(٢٠٢٢) المعنون بـ«تحليل انتقادی گفتمان مهاجرت در رمان ساعة بغداد از شهد الراوی بر پايه نظريه نورمن فركلاف» «تحليل الخطاب النقدي للهجرة في رواية ساعة بغداد لشهد الراوي في ضوء نظرية نورمن فيركلاف» يدرس خطاب الرواية ويعتقد بأنّ خطاب الهجرة خطاب مفضَّل للوكلاء السياسيين وحصيلة إتجاهات السلطة. ومقال لعبدالاحد غيبی ومهين حاجي زاده وبهمن آقازاده ووحيد خيری(٢٠٢٢) المعنون بـ«تحليل روانكاوانه شخصيت اصلی رمان بر اساس نظريه ساحت‌های روانی ژاک لاكان» «التحليل النفسي للشخصية الرئيسة للرواية على أساس نظرية المستويات النفسانية لجاک لاكان»، يدرس خصائص الشخصية الرئيسة من منظور لاكان النفسية ومظاهر انفرادها وكونها شخصية كئيبة ومنعزلة. ومقال لفلاح حسن عباس وثائر، فضل عيسى(٢٠٢١)، تحت عنوان «الانتلجينيسيا في روايتي ساعة بغداد لشهد الراوي و خواب زمستان گلي ترقي (دراسة مقارنة)»، يدرس تشابه واختلاف وجوه الشخصية المثقفة بين الروايتين الفارسية والعربية من الناحية الدلالية. المقال لنور عادل محمد وسالم نجم عبدالله(٢٠١٩)، تحت عنوان «الشخصيات العجائبية في رواية ساعة بغداد لشهد الراوي»، يدرس العناصر الروائية للرواية وأثرها في تطوير وتوسيع الأحداث. دراسة ماجيستر لفاطمة بالي ومسعوده فرجاني (٢٠١٩-٢٠١٨)، تحت عنوان «معرفية الحوارية و مكونات الشخصية في رواية ساعة بغداد لشهد الرواي» من الجزاير، تدرسان العناصر الروائية من الشخصيات، والحوارية، والتعدد اللغوية. هذا المقال ينطلق من المكان كنقطة الهوية الشعبية للدراسة السردانية وهو منظور بحثي جديد.

### ٢. بعض مصطلحات النظرية

#### ٢. ١. السرد والهوية

السرد عنصر أساسي للرواية وهو حبك الوعي الخاص للروائي بالذات والعالم وتمثيل للأفكار والمعتقدات وتصوير عن المجتمع والتاريخ. السرد عملية رواية الأحداث بطريقة تجعلها متسلسلة وذات معنى. يعتمد السرد على تتابع من الأحداث أو القصص التي تُروى، سواء



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

كانت فردية أو اجتماعية، بهدف توصيل رسالة أو التأثير. يمكن للسرد أن يكون وسيلة لفهم الماضي أو تفسير الحاضر، كما أنه يُستخدم أحياناً لإلهام المستقبل. السرد يكوّن الهوية؛ يجمع ريكور عناصر الهوية المتنافرة والمتباينة في وحدة منسجمة وذات حبكة مترابطة أيضاً (كاظم، ٢٠١٦: ١٣٣). تلعب السرديات دوراً محورياً في بناء وتشكيل الهوية؛ من خلال القصص التي نرويها ونستمع إليها، فنكتسب فهماً عميقاً لأنفسنا وللآخرين.

بناء الهوية ليست بناءاً مكتملاً وجاهزاً بل تخضع لتحولات التاريخ وسيرورة الثقافة. الهوية رهين بسردها الثقافي الخاص. تقوم السرديات الثقافية بتشكيل الهوية من خلال اختيار الأحداث والشخصيات والأفكار من الماضي وتقديمها بطرق معينة وغالبًا ما يكون ذلك لدوافع سياسية واجتماعية وربما اقتصادية. وفي هذه العملية، يتم تسليط الضوء على جوانب معينة وتجاهل أو تحوير أخرى، مما يعطي المجتمع أو الفرد تصوراً معينًا عن هويته. فـ«مثلما يحبك التاريخ فإنّ الهوية تكون عرضة للتحبيك أيضا» (م.ن: ١٣٠). للهوية وجهان ثابت ومتغير؛ ثوابت ثقافية يصعب تغيرها والتي تحتفظ باستمراريتها عبر الأجيال ورموز ثقافية قابلة للتغيير. والسرد بما هو عملية بناء يعيد الانسجام للمتنافر والمتشتت، يمكنه تشكيل الهوية و إبراز عناصرها (جوادي، ٢٠١٧: ٨٨). بالتالي، يمكننا القول إنّ السرد والهوية مرتبطان بشكلٍ عضوي، حيث يعمل السرد كوسيلة لتعزيز وإثراء الهوية، بينما تُؤثر الهوية على اختيار وتفسير السرديات التي نرغب في روايتها ومشاركتها.

**٢. ٢. الهوية المكانية (الاغتراب/الانتماء)**

الهوية عملية تمييز الفرد وتحديد أصالته الشخصية ومكانته، فالمصطلح لاينحصر في نطاق «الأنا» الشخصية بل يتجاوز إلى صفات تخصّ الجماعة والسمات والميزات المشتركة لها. الهوية تعتبر مجالا مهما للنقد الثقافي، إذ ينطلق من واقع الهويات في العالم في تشكلها ونموها واندثارها ومقاومتها وانغلاقها وانفتاحها (المناصرة، ٢٠١٣ : ١٢). فحسب المكان، الهوية تتعرف بموضوع الانتماء والاتصال البيئي للشخص والمجتمع؛ أي أن المجتمع في ظرفه المكانية يكسب خصائص عدة. يرسم كل مجتمع انساني لنفسه حدود فكرية ثقافية اجتماعية و... والمستويات والطبقات المختلفة. فالمجتمع يعيش في طقوسه ويتبنّاها كالهوية ويمارسها كالمعتقد والثقافة.

«المكان» من العناصر التي لا يمكن فصله عن العمل الأدبي، لأن كل وصف للأحداث، وكل تطور في الحبكة ووصف الشخصيات والوقائع، يحدث بالضرورة ضمن فضاء في النص السردي. يشكل المكان الروائي ظرفا للأحداث لكنه يتأثر منها ومن الشخصيات، كما يؤثر عليهما حسب الذاكرة التاريخية والشعبية. المكان ليس فقط إطارًا خارجيًا للأحداث، بل هو أيضًا إطار للتفاعلات والمشاعر التي تتسع وتنتشر كالهوية للشعب. وهناك أنواع للمكان حسب الدراسات السردية التي تحكي نوعية الأمكنة في النصوص، والتي لا يهتم بها هذا المقال، بل يهتم بدراسة المكان كالهوية التي تسرد في النصوص عبر الذاكرة والتاريخ.

وهنا لابد من توضيح المصطلحين الرئيسيين حسب الهوية المكانية وقضية الانتماء؛ وهما الغربة والاغتراب. الغربة (Estrangement) تعني الشعور بالابتعاد المكاني عن الوطن والبعد بسبب المسافة؛ والاغتراب (Alienation) يعني فقدان القيم والمثل الانسانية؛ إذ يشعر الانسان بالانفصال عن المجتمع ومعارفه وعالمه؛ أي يستلب شيئًاما ويحولّه إلى شخص آخر (الصائغ،٢٠١٣ :٥٠٨). هناك مفاهيم ومسميات عديدة للشخصية الاغترابية، فقسّمها البعض إلى النمط السلبي والنمط الايجابي الفعال. أما حليم بركات فيذكر ثلاثة أنماط الشخصية الاغترابية هي: ١.المنعزلون وهم المنسحبون السلبيون الذين يفضّلون الابتعاد، ويتجنبون المواجهة؛ ولهم أساليبهم الخاصة في ذلك. ٢.المطيعون؛ اللذين يميلون إلى طاعة ما ترضاه الجماعة بغض النظر عن غنائهم



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

الشخصية؛ فهم مجاملون منافقون ومنغلبون في خبراتهم واهتماماتهم ومصالحهم الشخصية. ٣.الفاعلون؛ من يواجهون المواقف الاغترابية بقصد العمل على تغيير هذه المواقف أو بالمعارضة أو يتجاهلون القواعد أو حتى القوانين الاجتماعية، ويرفضون المعايير الثقافية المقبولة فيما يتعلق بالسلوك والعلاقات الاجتماعية والممارسات العملية (م.ن: ٥١٦).

و الانتماء جذر الهوية الاجتماعية إذ يؤكد حضـــور مجموعة متكاملة من الأفكار والأعراف والتقاليد التي تتعلق بالأفراد ويحيا بها وتحيا به(بعلبكي والآخرون ، ٢٠١٣: ١٥٤). الانتماءات المتكاملة المتعددة من العرقية والاجتماعية و... التي تخلق خلال الحضـــور بين أفراد تنسبهم إلى الظرف المكاني أو الزماني الخاص وتمنحهم مشاعر الأمن والاستقرار. الهوية المكانية ليست مجرد تفاعل مادي مع المكان، بل هي أيضاً تفاعل نفسي وثقافي، تنشأ خلال ارتباط الشخص بخصائص المكان المميزة وما يحمله من معانٍ وقيم.

**٣. دراسة الرواية "ساعة بغداد"**

**٣. ١. نبذة عن الرواية**

الرواية صورة عن حي في بغداد وحكاية عن حياة الشخصية الرئيسة وصديقتها، وسرد أحوال أهل الحي عبر الذاكرة من الماضي. الرواية تصف أحداث الحي بتوصيف دقيق خلال منظور البطلة التي تروي كل الوقائع والأحاسيس والأحداث كالحزن والفرح والحب والدراسة والهجرة والسفر والإرهاب والشعوذة والانتحار. إنّها تجسيد لحياة العراقيين ظل الحرب من الحرب الوطنية إلى الحرب الأمريكية، والحصار والآلام والظلم والاستبداد والدمار والهلاك. قد وظّفت الرواية تقنيات سردية لتسجيل الوقائع التي تدور من داخل ملجأ مظلم من لسان الطفلة حتى تكبر وتروح إلى المدرســـة ومن بعدها تلتحق بالجامعة. وعن طريق خيال هذه الطفلة تدخل في المجتمع البغدادي وتصـــف بغداد بكل أمكنتها من المســـارح والحدائق والمنتزهات من جانب والشـــوارع المزدحمة والأبنية المهجورة والمدمرة والمتروكة من جانب آخر. هناك جانب منتعش وحيّ نابع من الذاكرة المكانية والعلاقات الحميمة بين أبناء المجتمع وهناك التشوهات النفسية والأخلاقية والاجتماعية حسب آثار الحصار الأمريكي على المجتمع البغدادي. فتعتبر الأمكنة في الرواية المادة الفاعلة لتكوين هوية الفرد والمجتمع.

**٣. ٢. لهوية المكانية الوطنية**

تسرد الرواية في ظرف بغداد المكاني خلال الرؤية الشخصية الرئيسة من طفوليتها إلى كبرها. وفي هذه الرواية تعتبر الحي البغدادي بؤرة الأحداث. والطفلة تعبّر عما حدث في حيها فهي تحلم في الآفاق، وتحلق في عالم الخيال فوق بيوت بغداد القديمة للبحث عن الراحة، لتتخلّص من الحرب؛ رغم أنّ صوت صفارة الانذار وأصوات القصف الشديدة والانفجارات العنيفة قد تطردها إلى الواقع، وتلجأ إلى حضن أمها للطمأنينة في ظلام الملجأ. إنّها تحكي الخوف والبرد والترقّب واللهو واللعب والأحلام في ساعات الحرب، وتسرد العلاقات الحميمة بين العائلات والشخصيات الروائية. بغداد بلد حي بكلّ حيوية ونشاط، رائع بمناظره وطيوره في السماء وتزاوج عصافيره، وحدائقه وموجوداته. الشوارع محل التقاء الأشخاص بكل تنوعّهم واختلافهم فلهذا هي فقرة الحياة الاجتماعية (زايد، ٢٠٠٣: ٩١). ترسم الطفلة ما تشاهد في الملجأ وما تشاهده في الشوارع من البيوت في خطوط مستقيمة وكأنّ الحي سفينة كبيرة بحدود لا نهائيه، وصغيرة في آن واحد. كذلك تصف الحي بعد انتهاء الحرب، وتسرد عن أحواله في اللعب في الشوارع واجتماع الأهالى مع البعض في حديقة الزوراء.



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

«الحديقة الزوراء» مكان نوستالجيا وظرف جدير للأحاسيس والمودّة والحب. هي مكان الاتصال والالتقاء، مكان الراحة والطمانينة. يجلس الأهل على أعشابها ويتناولون الطعام ويستريحون بين الجواري بجانب حديقة الحيوانات. هذه ذاكرة وفي نفس الوقت باب لنسيان الواقع المرير:

«بوابة الزوراء هي لحظة الدخول في النسيان هي الممر العميق نحوها أنفسنا بعيداً عن السياسة ... السياسة تأخذ الناس بعيداً تسرقهم من أنفسهم تخلط مشاعرهم مع الآخرين حتى لا يعود الإنسان يعرف نفسه.[...] إنّ وجود بوابة مثل بوابة الزوراء هو نوع من الأمل. هل تعرفون ماذا أقصد لكي أكون واضحة بدرجة كافية أقول لكم أن الحب يحتاج أمكنة رحيمة أيضا، إنّه يختنق عندما يمتلئ الهواء بالشعارات.»( الراوي،٢٠١٦ :٩٧).

هذا المنتزه هو مكان تجمع لأهالي الحي، وأيضًا مكان لقاء المحبين. بقدومهم إلى هذا المنتزه، يجد الأهالي وكذلك الشخصيتان الرئيسيتان في الرواية قسطًا من الراحة المؤقتة والهرب من القلق والاضطرابات النفسية. هذه البيئة العريقة توحي السكون والحياة وتجعل الناس في أجواء بعيد عن الواقع المرير وتجعلهم ناسين الآلام والمصائب.

«برج الزوراء» وهي تعتبر من نظرة الطفلة أصغر من برج المأمون كأنها تحسب بأنّ برج المأمون يكبر كل يوم (**انظر: م.ن:** ١٩) رغم كونها هي تكبر؛ وربما تشير إلى عظمته عند الأهالى كأنّ هذا المكان التاريخي رغم القدم يزداد كبرياءه وجبروته.

**البيت** مكان الألفة والأنس؛ وحسب تعبير باشلار هو الوجود الحقيقي للإنسانية الخالص التي تدافع عن نفسها (باشلار،٢٠٠٠: ٦٦) وله أهمية بالغة في الآثار الأدبية. الانسان غيور ببيته كأنّ حدود البيت حدود جسده. الروائيون يهتمون بالبيت ولا يصفونه فقط بل يعنون به ككيان البشر الفردي والاجتماعي والنفسي والثقافي الذي يتولد فيه ويكبر فيه (المستوني، ٢٠١٣: ١١٢). الراوية تسرد اضطرارها بترك بيتها إلى بيت جدتها في الريف، فتشعر بالراحة فيه، لأنّها تنتمي إليه. تصف بيت جدتها في الريف والتي تسحب إليه قبل الحرب في كانون الثاني ١٩٩١ خوفاً من الحرب وهرباً منها بكونه آمناً من القصف والدمار، وهو مكان تحيط به الأشجار العالية وتجري بينها سواق، وفيها مناظر خلابة من العشب والشجر والحيوانات. وتقول:

«في بيت جدتي البعيد، كانت النجوم أقرب من النجوم التي فوق بيتنا، ذهبنا إلى هذا البيت، قبل أن تبدأ الحرب بثمانية أيام، كان ذلك أيضًا في كانون الثاني ١٩٩١. كنّا نخاف من الحرب وقرّر أبي أن نذهب عندها لنحتمي من الصواريخ لأنّ جدتي لا تخاف من الحرب و الحرب لا تراها» (الراوي، ٢٠١٦: ٢٤-٢٣).

حدود البيت حدود الذاكرة وحدود بيت الجدة حدود الوطن. الأمن و الاستقرار، الحيوية والنشاط ينبع من البيت الذي يوحي الانتماء والثبات.

أما الملجأ فهو نقيض البيت في أصالته، وهو يعبر مواصفات البيت إذ إنه يحتمي الأفراد في حالة الخوف والاضطرار والفرار من القصف والانفجار. إنّه يوفر للخائفين الأمان والسكينة، لكنّه غير قادر أن يمنحهم مشاعر الانتماء. يبقى الملجأ مكانًا مؤقتًا، يفتقر إلى الدفء والروابط التي تعزّز الإحساس بالانتماء والهوية.

الحي في تخييل الراوية تشبه سفينة عملاقة يتوسطها «برج المأمون» (م.ن: ٤٤) يقودها القبطان. هذا التصوير يجعل برج المأمون مركز المجتمع وعماده كأنّ الذاكرة التاريخية قوامها. هكذا يشير إلى مزج الواقع بالخيال بقول القبطان الحكيم:



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

«العالم الذي نعيش فيه مجرد فكرة صنعها خيال مبدع خلاق وعندما وجدها فكرة معقدة راح يشرحها من خلال أفكار أخرى لكنها أفكار صغيرة [....] كلّنا مسجونون في خيالنا وإنّ تجاربنا على عرض الواقع هي عبارة عن أفكار فقط، الوجود كله مجموعه من الأفكار.» (م.ن: ٣٥)

يعيش الناس في السفينة، فترتبط مصائر بعضهم ببعض إذ لا يمكن أن نعتبر مصائر الفرد منفصلا عن المجتمع. تقول: «بعض هذه السفن كبيرة بحجم القارة وبعضها بحجم وطن وأخرى بحجم محلّة صغيرة. كلّما كانت السفينة كبيرة فسدت العلاقة بين ركابها» (**م.ن**: ٧٤)، أي الألفة والتودّد بين أعضاء المجتمع الصغير أكثر من المجتمعات الكبيرة التي لا يعرفون الناس بعضهم البعض بأكملهم. الناس راكبون على صفح السفينة فعاقبتهم واحدة، ولا يمكن أن يعتني الفرد بمصيرته شخصياً فقط. والأجنبي هو الذي يريد أن يفكّ حبل المجتمع ووحدته يسوق الناس صوب الفردانية والتفرد، والأنانية والتفكير بأقدارهم الشخصية. هكذا يقول المشعوذ: «يعيشُ الإنسان في هذه الدنيا بقدرين، الأول قدره الشخصي والثاني قدره الإجتماعي، هل تفهمنَ ماذا أقصد؟» (م.ن: ٧٥).

التعايش في مسار تكهنات المشعوذين يصير الأماكن مغلقة والشوارع تعبة. تصبح المحلة مكاناً لمرور المشعوذين لأنّ النساء في الشوارع مولعة بقرءاة الطالع وبجالبي الحظ، رغم كونهن متعلمات وصاحبات الشهادات في العلوم المختلفة. الرواية تعتبر المشعوذ كذّاباً ودجّالاً قادماً من الدول الأجنبية ليبثّ الرعب في نفوس الشعب بما صمدوا أمام الحصار؛ ويؤثر في نفوس الناس فبما يقبلونه، لتحقق تكهناته. هكذا تنهدم قوى الشعب فيفقد صموده؛ إذ يقول المشعوذ:

«أنتم الأرض الحرام لكل حرب، أنتم هدف سهل المنال لكل الأسلحه التي تتقاطع فوق رؤوسكم» (الراوي ٢٠١٦: ١١٢).

فيظهر التعب على وجوه الآباء والأمهات؛ والنسيان يشمل الجميع. النسيان يعني الابتعاد عن الذاكرة والهوية؛ إذ لم يرغبوا في أن يتذكروا شيئاً من الماضي ليعيشوا بها، ويدخلون الحصار بعد تقلّب الحياة رأساً على العقب. هذا يؤثّر على الوجوه الأنيقة كما يؤثر على الأبنية، فأصبحت المدرسة بناءاً شاحباً بسبب تسلسل اليأس إلى أفرادها وأشخاصها. فالأبنية تحسّ بما يحسّ الأشخاص في الظروف المختلفة للحياة من الحصار والهجرة والترك والفرار. إذ الشوارع لم تكن محلاً للتواصل والراحة والنشاط بعد، بل تصبح محل المسيرات الاحتجاجية والتظاهرات والانتقادات والمطالبات وإعتلاء اللافتات التنديدية (انظر: م.ن: ٩٢).

يهب الحي للمجتمع الهوية المتفردة المتمايزة. فكما يؤثر النسق الثقافي المضمر في ذاكرة الشعب من التاريخ والتراث على الشخصية؛ فيؤثر المكان على الشخصية إذ يتكأ على الذاكرة ليحيا. هناك أماكن تاريخية عدة في الرواية، لا تسرد ماهيتها التاريخية فقط وحكاياتها عبر الذاكرة والماضي، بل تعطي صورة عن هويتها عند الشعب وهذه وثيقة شعبية خالدة؛ ومنها:

«ساعة بغداد» وهي من الأماكن التاريخية في بغداد ولها دلالات متعددة في النص. إنّها عنوان الرواية وعتبة النص دالة على الزمن والحقبات التاريخية من الماضي إلى الحاضر، والتفكير في المستقبل؛ كما تدلّ على بلاد الرافدين ومهد الحضارات والعروبة. وهي رمز للتاريخ الحافل بالبطولات والانتصارت والعلم والأدب (م.ن: ٧٨). تحكي الراوية هوية هذه الساعة عندما ترسم لنا مسيرة الشباب من المدرسة إلى هذه البناية الجديدة التي تسمّى ساعة بغداد. وتحكي عن التجول في القاعات والحدائق والمتحف بواجهتها الزجاجية وتحفها المقدَّمة إلى رئيس الجمهورية، والتي تحمل حكايات عن القدماء الذين عاشوا قبل آلاف السنين في العراق. ومن منظور الطفلة وحسب هيمنة الحاكم في ذلك الزمن؛ تعتبر صورة الرئيس الجمهورية أكبر من صورة هارون الرشيد (انظر: م.ن: ٣٠). تسرد الراوية عن حديقة ساعة بغداد وأجوائها المخضرة إذ يلاقي فيها الزمان والمكان، فيتداخلان في البعض.



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

ساعة بغداد تقع مركزاً للمسار أو المكان الانتقالي. المسار وفق تعريف هلسا مكان يربط مكاناً معيناً بأماكن أخرى (هلسا، ١٩٨٩: ٥٩). أحياناً تكون الأماكن الانتقالية في المدينة هي الشوارع والأزقة التي تربط بين نقاط مختلفة من المدينة، وفي الحي والملاذ تكون ممرات وطرق الاتصال بينها تُعد أماكن انتقالية. وقد عبّر شاكر النابلسي عن هذا النوع من الأماكن بأنها تشبه أوردة الجسم، التي تربط البيت والمدرسة وغيرها بساعة بغداد (١٩٩٤: ٥٧). ساعة بغداد خير مسار للحكاية حتى تسمح أن تظهر الأحاسيس في الصورة التذكارية الجماعية، فتحسّ الراوية مشاعر الساعة كانت تبتسم لهم أو تضحك عليهم (الراوي، ٢٠١٦: ٣٠). تعتبر الراوية بناية الساعة في الليل أجمل منها في النهار وتصف هذه البناية بقولها:«عندما ندور حولها نستطيع أن نراها من كل مكان لأنها في الحقيقة ليست ساعة واحدة، أربع ساعات مربعة الشكل كل واحدة منها في جهد لا أدري لماذا لا يسمونها (ساعات بغداد) ما داموا يضعون أمام كل واحدة مصباحاً كبيراً على الأرض» (م.ن:٣١).

نظرة الساردة مختلفة عن النظرة التاريخية والأثرية في توصيف ساعة بغداد، فهي تهتم بحركة بندول الثواني وسعادتها في الحركة والتقدم والتأخر والتراجع، فترى نشاطها وحيويتها، رغم أنّ الناس لا يعتنون بها (أنظر: م.ن: ٣٢). إنّها نموذج من الحياة والحركة. يدبر الناس في الحي شؤون حياتهم، حسب ما تعلن الساعة من الوقت في طول النهار. فهذه النظرة مختلفة عن النظرة الأثرية إلى الأبنية التاريخية، فهي جزء من الحياة وجزء من الفعاليات اليومية. إنّها بناية شامخة شاهدة على الأحداث، وهي بثوانيها ودقائقها تخبر الشعب وظائفهم في أوقات الليل فتذكّرهم بالحياة والحركية والنشاط.

ساعة بغداد تمتزج بين الزمان والمكان لتقف بجانب الشخصية في مختلف الأزمنة من حياتها وفي مكان يتعلق بها وينتمي إليها. تصور الرواية معاناة قاطني الوطن فترسم ملامح غربتها واغترابها ومحاولات اجتثاثها من جذورها ومقاومتها، فالساعة ليست جامدة بل هي كالإنسان صاحبة الشعور والاحساس، ولها دلالات متعددة عن الهوية الفردية والجمعية.

الرواية ترسم صورة المجتمع العريق طول مصيرته التي كانت ولاتزال مشدودة بالحرب والحصار وتصف البيوت المتروكة والمهجورة في اهتمام أهل المحلة لحفظ هويتها؛ فتصف هجرة باجي نادرة بهذا القول:

«الناس لم ينسوها، لكنّهم تعوّدوا على نسيانها لغيابها، وليس على نسيانها هي شخصيّاً. هناك ناس في محلتنا وحتى في كل مكان في العالم، نسيانهم يعني أنّنا نتذكر غيابهم، الذي يحلّ محلّ وجودهم في حياتنا» (م.ن:٤٤).

هجرة الأهالي والعائلات من الحي بسبب القصف والحصار وأزماتها وآلامها تغيّر وجه المدينة. تتغيّر البنية الاجتماعية والنسيج الثقافي للمدينة، وتفقد الأماكن نبضها المعتاد الذي كان ينبعث من وجود الناس وتفاعلهم اليومي. اليأس والغربة يتسربان إلى نفوس الناس ومنها إلى الأبنية والأماكن، فلا تشعر العائلات بالراحة ولا تتنزهون في الغابات والنزهات؛ إذ تعتبر الهجرة الموت من نوع آخر، فتقول:

«إنّه الموت من نوع آخر، تقول أمي أن يختفي أحد ما من حياتك، وليس لديك أمل في اللقاء به ثانية، وهذا يعني من وجهة نظرها إنّ أحدكم بالنسبه إلى الآخر قد مات» (الراوي، ٢٠١٦ :٩٨).

وربما هذا الموت يحيط بالأماكن ويسترها الحزن بأكثر عمق؛ والألم يشمل الجميع. فيتألم الجيران لمنظر البيوت الجميلة لجيرانهم المغتربة، إذ تصبح غابات صغيرة من الدخان وتترسب الغبار والسواد على هذه البيوت المهجورة.



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

«كبرت محلتنا الفتية وأصبحت عجوزاً تفقد ذاكرتها تدريجًا، شيئًا فشيئًا أصبحت أبواب البيوت صدئة، وتلونت الشبابيك بألوان قاحلة، ارتفعت الأسيجة الخارجية، والأسيجة التي تفصل بين الجيران، أضيفت الأقفال والكتائب الحديدية، صارت الحياة تنسحب إلى داخل الغرف البعيدة .... » (م.ن: ١٢٨).

الأماكن التي كانت تحمل القصص والأحلام بدأت تتآكل، وأصبح كل ركن فيها يحمل بصمات الماضي الذي يرغب في استرجاعه. تعاني المحلة من فقدان الهوية، وكأنها تسير نحو النسيان، مفقودةً ذاكرتها التي كانت تعبر عن حياة شعرت بها الأجيال. نسيان الذاكرة هو فقدان الهوية. إذ ترتبط الذكريات ارتباطًا وثيقًا بالشعور بالانتماء والمكان. عندما تذبل الذكريات أو تُنسى، تبدأ الهوية في التلاشي، ويصبح الفرد أو الجماعة في حالة من الضياع وعدم الارتباط بالماضي. عدم الصمود والهجرة وترك الوطن يغيّر وجه البلد، فرغم استقرار الأبنية وحضورها على وجه أرض البلد، غبار النسيان يترسب عليها كأرضة تقضمها وتأكلها، فلاتترك شيئاً من قوامها. أما الروای فتتكلم عن هذه الظواهر مقاومةً للنسيان،كما تسجل الشخصية الروائية خصائصها في كتابها.

**٣. ٣. الهوية الثقافية والاجتماعية**

التنوع والتعدد الثقافي خصيصة المجتمع في بغداد. والطبقة الوسطى في المجتمع بؤرة الهوية الاجتماعية ونقطة ثقله. كلّ هذا التنوع والتعدد يؤدي إلى الألفة والمحبّة والتعاون على فضاءات المحلة. والاختلاف في الدين والفكر والمذهب لا يكون عائقاً أمام الحياة.

«في يوم من الأيام، كان ذلك على الأغلب يوم جمعة من شهر نيسان، ذهبتُ مع أهلي إلى حديقة الزوراء، كان معنا أهل نادية وبيداء وأمها، ولا أتذكر ما إذا كان أبوها معنا. جلسنا على العشب نتناول طعامنا الذي جلبناه من البيت» (الراوي،٢٠١٦: ١٩). هناك شخصيات اجتماعية مختلفة في الرواية من المدرّسات والمعلّمات والمتعلّمات في ساحة العلم والثقافة. المعلم رمز للعلم وهو اللبنة الأولى للطبقة المثقفة.هذه الطبقة يضطرها فقر مدقع ويجبرها الحرمان إلى ترك بلدها الغنية وإلى الهجرة خارج العراق.

المكان يكسب الروح بسكانه إذ أنّ وجود الأفراد وتفاعلهم مع بيئتهم يضفي الحياة والمعنى على المكان. يساهم السكان في تكوين هوية المكان من خلال عاداتهم، ثقافاتهم، وقصصهم الشخصية. فالحياة مملّة في الحي بسبب هجرة أغلب أهلها وبسبب الحروب والحصار ومقتل أبناء الوطن(عباس وزميله،٢٠٢١: ٦٠٦). الشوارع تخلو من سكانها الأصليين القدماء غير بيت الراوية وبيت نادية وبيت عمو شوكت.

«الجامعة» من الأماكن التي تنضج فيها الهوية الاجتماعية للأفراد وتكتسب شكلاً جديداً. الراوية تدرس في الجامعة التكنولوجيا ونادية تدرس في جامعة بغداد، وهما تهتمان بمصيرة الشعب، وتحاولان أن تسجلا ذاكرة الحي تحت عنوان ساعة بغداد؛ رغم أنّ نادية هي الأخرى التي تهاجر مع أهلها وتترك صديقتها والحي والذكريات والماضي. تشير الرواية بتهجين الأحداث الواقعية والخيالية وبالاعتماد على الذاكرة إلى أهمية الطبقة الوسطى ومدى تأثيرهم في عدم نسيان الذاكرة الشعبية؛ لأن صمودها ومقاومتها يحافظ على الهوية. تعتبر الطبقة الوسطى ذات أهمية كبيرة في المجتمع، حيث تلعب دوراً حيوياً في الحفاظ على الذاكرة الشعبية وتقاليدها بحفظ التراث الثقافي للمكان، بالمشاركة الاجتماعية لتفعيل الشعب، بالإبداع والابتكار في أساليب الحياة وإحياء الذاكرة، وتسهم الطبقة الوسطى في منع نسيان الذاكرة الشعبية، مما يضمن استمرارية التراث الثقافي وتعزيزه عبر الأجيال.

كما أن الرواية تكشف عن تأثير الطبقة الوسطى والمثقفين الفاعلين في مقاومة النسيان وحماية الذاكرة الشعبية من التآكل، مما يسهم في استمرارية الثقافة وتماسك الهوية الوطنية؛ وفي المقابل، ترصد أنماطًا من الشخصيات الاغترابية التي تتأرجح بين الانسحاب



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

والمواجهة، بين الطاعة والانفعال، مما يعكس أثر الظروف القاسية في تشكيل نماذج سلوكية غير مستقرة. ومع ذلك، يبقى الأمل قائمًا من خلال صوت الراوية التي تحلّق في عالم الخيال، وتحلم بمستقبل لا يُنسى فيه الماضي، بل يُعاد توظيفه ليمنح الحياة طاقة جديدة للانتماء والنهوض.

يمثل الاغتراب ظاهرة إنسانية وليدة ظروف قهرية سياسية واجتماعية وفكرية وأخلاقية تنشأ في فعل الفرد وسلوكه عندما يرى لا يواكبونه والحالة السيكو – اجتماعية التي تسيطر على الفرد تجعله غريبا عن واقعه الاجتماعي وكيانه الثقافي، إذ يفقد إحساسه بأهميته وقيمته ويجعله أن يفشل في علاقته الإجتماعية فلابد له من أن يقاوم أمام هذه السيطرة الهادمة( الصائغ،٢٠١٣: ٢٣٨). هذا الإحساس بالغربة يمكن أن ينتج عن عوامل عدة، مثل الضغوط النفسية، التغيرات الاجتماعية، أو حتى فقدان الهوية.

«إن هذا الحصار طويل ولن ينتهي قريبًا، و عندما تأتي نهايته، ستبدأ الحرب وبعدها سيتلاشى كل شيء في النسيان. سينكر الجار جاره، والصديق صديقه، والأخ أخاه، سترمى جثث الناس في الليل للكلاب، وستختنق الأرصفة بالموت، ويدخل الرعب إلى بيوتكم من الشبابيك، أنتم الطبقة الوسطى التي عليها يبني المجتمع أركانه، ليس لديكم سلاح تدافعون به عن أنفسكم» ( الراوي، ٢٠١٦: ١٢).

استمرار الانفعال نتيجة الحرب و الدمار، يجعل الانسان شاهداً على هلاكه وهو لا يفعل شئيا للخلاص منه. هكذا يغترب الفرد عن مكانه وقيم مجتمعه بسبب انعدام تفاعله عاطفيا وفكريا مع تلك القيم، فيبرز الاغتراب الاجتماعي في أوضاع التمرد التي تدفع الأفراد الى البحث عن بديل للقيم التي يعتمد عليها البناء الاجتماعي لمجتمعهم (الصائغ،٢٠١٣: ٥١٢). الاغتراب نتيجة الاحساس بعدم الفاعلية يبرز في المجتمع ويضعف الذاكرة الشعبية وينهك القوى للخروج من التيه والحيرة.

قد تؤدي الظروف المؤسسية المجتمعية والاقتصادية وغيرها الى ظهور نمط من أنماط الشخصية الجديدة بجانب الطبقة الوسطى والمثقفة الفاعلة في المجتمع. أكثر المجتمعات العربية يظهر فيها نمط المتراجع المتحين (الذي يجمع في سلوكه ما بين النمطين الأول والثاني) (الشخصية الانعزالية –المطيعة) يتأرجح سلوكها بين الابتعاد وتجنب المواجهة، إلى المصايرة والمجاملة، وسلوك المواجهة في المواقف التي تحتاج إلى مواجهة وتغيير، ويفضلون عدم تحمل مسؤولية الانسحاب والابتعاد خوفا وطمعا (م.ن: ٥١٧). الرواية تشير إلى هذه الأنماط من الشخصيات التي لا تستطيع أن تتحمل الظروف القاسية الاجتماعية والاقتصادية فتفضل الهجرة والانعزال، كما درسنا مسبقاً، أو الانتحار والحذف والانسحاب؛ مثلما تسرد الرواية عنهم:

«رجل مسنّ يجر عربة حمل خشبية، رفض أن يفسح لها الطريق: ادعسني و خلّصني من هذه الحياة، لا أريد بعد هذا اليوم أن أعيش في هذا الزمن الحقير، أريد أن أموت» ( الراوي، ٢٠١٦: ٢٢٤).

«شاهدت بنفسي امرأة تنتحر و هي ترمي نفسها في نهر دجلة من على الجسر كان ذلك في فصل الشتاء حيث مياه النهر الباردة، و يقول الناس الذين تجمعوا من مكان الحادث إنها وأطفالها لم يذوقوا الطعام منذ ثلاثة أيام وإنّ زوجها مسجون لأنّه صار لصّاً» (م.ن: ١٤٠).

النظم المستبدة المسيطرة على الحياة تسهم بفعلها التعسفي في جعل الشخصيات بمزيد من الاحباط والتشويه والاستلاب في الفعل والممارسة التي يشعرون باللاجدوى والهامشية، فيختارون الرحيل والهجرة، كحلّ بديل لحالة الاضطهاد التي يعرضون لها. فيظهر الاغتراب نتيجة الظروف القهرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية. لايتحمل بعض من أبناء المجتمع الظروف القاسية فيهاجرون والبعض ينتحرون والبعض يغتربون، لكن الراوية تريد الانتعاش والحيوية بحفظ الذاكرة وعدم نسيان الماضي للحفظ على الجذور الشعبي والانتماء الوطني.



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

بما أنّ الثقافة وليدة سلوكيات ونوعية تفكير لأبناء البلد، تتمثل الثقافة مكونا جوهريا من مكونات المجتمع وتجسد في الوقت نفسه جوهر وجوده وهويته؛ إذ إنها تشتمل على مجمل السمات المميزة الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي يتصف بها المجتمع بجانب الفنون والآداب وطرائق الحياة وأساليب العيش معا. وقد نرى أنّ الهجرة و العودة تغيّر ملامح الشعب الثقافية فتشعر الراوية بسلوكيات لا تتعود بها من قبل.

«حاولت أن أكون معه على طبيعتي، لكنّه عرف أن تفكيري مشغول عنه، فأخذ بيدي و ذهبنا إلى متنزه الزوراء، وفي الطريق كان يتحدث إليّ من دون توقف وهو يصف لي رحلته إلى الأرجنتين» (م.ن: ١٢٠).

تعكس هذه العبارة توتّر العلاقة بين الذات والآخر في ظلّ حالة داخلية من الشرود الذهني والانشغال النفسي. تحاول الراوية أن تُظهر التوازن العاطفي والتواصل الطبيعي، لكنها تعترف ضمنياً بفشلها في ذلك، مما يشير إلى عمق الاضطراب الداخلي الذي تعانيه وهو ما يمكن ربطه بثقل الذاكرة الجماعية والحصار والحرب التي ترهق الوعي الجمعي والشخصي على حدّ سواء.

الذهاب إلى «متنزه الزوراء» في هذا السياق ليس مجرّد نزهة عادية، بل يحمل دلالة رمزية قوية؛ فهو مكان نوستالجي مرتبط بالراحة والحب والانتماء كما ورد في الرواية. ومن ثمّ فإن انتقال الشخصيتين إليه يشكّل محاولة لإحياء مشاعر مفقودة، واسترجاع لحظة من السلام الداخلي وسط فوضى الحياة والمجتمع. وصف الرجل لرحلته إلى الأرجنتين يشكّل فعل هروب رمزي من الواقع المحلي إلى الفضاء الآخر، بما يحمله من احتمالات التحرر أو الأمل، لكنّه أيضاً يعكس التباعد العاطفي بينه وبين الراوية؛ فهو يتحدث بلا توقف، كأنّه يُعالج صمته الداخلي بالكلمات، بينما هي غائبة ذهنياً، ما يُعيد إنتاج الاغتراب في العلاقة الإنسانية رغم القرب الجسدي. وبالتالي، فإن هذا المشهد يجمع بين البُعد النفسي (القلق، الانشغال، الغربة الداخلية)، والبُعد المكاني الرمزي (الزوراء كمساحة للسلام الهارب)، مما يعزز الطابع السردي للهوية في الرواية بوصفها هوية قلقة، مشروطة بالزمان والمكان والذاكرة.

أما الجنوسة (Gender) فهي مقولة ثقافية تشكل هوية المجتمع لتمايز الأنثى عن الرجل بكونهما موجودين مختلفين حسب كيانهما الثقافي. و«الجنوسة النسقية» تلامس النسقية الثقافية ببعدها الطبقي الذي يجعل الفروق الطبيعية فروقا في المستوي وفي التمييز المتحيز، وعبر هذه النسقية تتحول كل خاصية نسوية إلى سمة دونية حين مقارنتها بالمختلف عنها ذكوريا (الغذامي، ٢٠١٧: ٥). الراوية لا تشير إلى الانحيازات والحيادات أمام المرأة بشكل خاص، بل الحرب والفوضى والدمار قد جعلهم في موقف الاضطرار والمحاولة لحفظ الحياة. لكن ما تسرد الرواية عن العلاقات بين الصديقات أو الأصدقاء توحي بأن هناك تابوهات لابد أن تلتزم بها الفتيات مثلما تشير إلى:

« بعيداً من مراقبة مروة وملاحقتها وإزعاجها، صارت نادية تلتقي أحمد في الشوارع الخلفية البعيدة من الأنظار، في الاتجاه المعاكس للطريق الاعتيادي الذي كنا نسلكه يوميًّا من البيت و إليه» ( الرواي، ٢٠١٦: ٦٧).

الأماكن البغدادية لا تزال تراعي النسق الثقافي المرسوم في ذاكرتها وتحافظ على الحدود كسمة ثقافية لها. المكان رغم الدمار والحرب مليء بالحياة والحب، والعشق يبرز على الأطلال بعيدا عن الأنظار. الحياة تتدفق بعكس الموت في نسقها المعهود. عندما يخلو الحي من نظرة الغريب، يسود الأمن والهدوء، وتتجرأ المرأة أن تظهر ما تحبّ وتريد، وتستطيع التعبير عن مشاعرها بسهولة دون الخوف.



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

«نظرت بعينين خائفتين تتفحص المكان يمينًا و يسارًا، عندما شاهدت برياد يتجول في الشارع عالقا ذيله الأبيض تأكدت حينها أن شارعنا خال من الغرباء وضعت العباءة على رأسي و هذه أول مرة ارتدي فيها عباءة... » ( الراوي، ٢٠١٦: ١٩٤).

المكان بالنسبة للشخص الذي يشعر بالانتماء يمثل أكثر من مجرد مساحة جغرافية؛ إنه جزء من هويته وامتداد لشخصيته. هذا المكان يحمل خصائص مميزة تجعل الشخص يشعر بالراحة والأمان والانتماء العاطفي والروحي. تتسم خصائص هذا المكان بوجود روابط عميقة، مثل الذكريات المشتركة والمعالم المألوفة والأشخاص الذين يكون لهم تأثير عاطفي خاصة للمرأة التي لا تبوح عن هذه المشاعر بصراحة وسرعة. تجعل هذه الخصائص أن يشعر الشخص بأن هذا المكان يخصّه ويفهمه ويخلق فيه رغبة للمساهمة في تطوره والحفاظ عليه. أما وجود الغربة فيعكر هذه المشاعر ويخلّ بتلك الروابط العميقة التي تجعل الشخص أن يشعر بالانتماء. عندما يشعر الفرد بالغربة في مكانٍ ما، قد يفقد إحساسه بالراحة والأمان وتصبح العلاقات مع المكان سطحية أو مؤقتة. تتلاشى معه الذكريات والتجارب المشتركة التي تعزز الشعور بالهوية، ويصبح المكان غريبًا وغير مألوف، مما يضعف الرغبة في الارتباط به أو الحفاظ عليه. الشعور بالغربة يحجب الدفء العاطفي والانتماء، مما يجعل المكان يبدو فارغًا من المعنى، حتى وإن كان مليئًا بالتفاصيل الحسية والملموسة.

**٤. النتائج**

رواية ساعة بغداد تسرد أحدث مجتمع محلة في بغداد بذاكرتها التاريخية وما جرى لهم من الأحداث ظل الحرب والحصار والهجرة. السرد الروائي لا يكتفي بنقل الوقائع، بل يعيد تشكيل الهوية من خلال استحضار الذاكرة الفردية والجمعية، وتوثيق الأثر العاطفي للمكان الذي لم يعد مجرد خلفية للأحداث، بل أصبح فاعلاً مؤثراً في تشكيل الشعور بالانتماء والحنين. تتجلى أهمية المكان، من البيت إلى الجامعة ومن الحديقة إلى الملجأ بوصفه وعاءً لهوية الشعب ومرآةً لتفاعلاتهم، ومسرحًا لصراعاتهم الداخلية والخارجية.

تحاول الرواية تحبيك التاريخ بالمزج بين الخيال وواقع التاريخ والأبنية الأثرية وسائر الأماكن في المجتمع وتضفي عليها هوية الشعب الوطنية والاجتماعية والثقافية والمعالم عن الجنوسة.

تقدّم الرواية صورة تخييليّة غنيّة لبغداد وتُعيد بناء مواقعها لا كمساحات جامدة، بل كعناصر حية نابضة بالرموز والمشاعر والذكريات. المكان هنا لا يُقدَّم كخلفية محايدة، بل كقوة فاعلة تتأثر بالشخصيات وتؤثر في مساراتهم، مما يجعل من بغداد مدينة متخيلة ومُعاشة في آن، حيث تتقاطع الحرب بالحب، واليأس بالأمل، والانفجار بالحلم.

أما الهوية السردية في الرواية، فتتجلى من خلال تحبيك المكان بوصفه مرآةً للذات الجمعية ومجالاً للصراع والانتماء. إذ تُبنى الهوية عبر التفاعل الحي بين الإنسان والمكان، فتصبح البيوت المتروكة والملجأ والحدائق والساحات العامة علامات سردية تدلّ على التحولات في الوعي والهُوية. كما تبرز الرواية دور الطبقة الوسطى والمثقفين الفاعلين في مقاومة محو الذاكرة، مما يعزز استمرارية الهوية الشعبية. يوظف السرد الذاكرة والمكان ليشكّل هوية سردية جماعية، تحلّق عبر الخيال فوق أنقاض الحرب، حاملة في طيّاتها بذور البقاء والمقاومة والانتماء. المكان سجل هوية الشعب والوعي والبنية الفكرية والشعورية للشخصيات فيؤثر على الشخصية إذ يتكأ على الذاكرة ليحيا ويصمد. تتداخل الذاكرة الفردية بالذاكرة الشعبية، ويتحوّل السرد إلى وسيلة لبناء الهوية والمحافظة عليها في مواجهة النسيان والاغتراب والدمار.



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

**المصادر**


- باشلار جاستون (٢٠٠٠). *جماليات المكان*. ترجمة غالب هلسا. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- بروكمبير، جينز و دونال كربو(٢٠١٥). *السرد و الهوية : دراسات في السيرة الذاتية و الذات والثقافة*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- بعلبكي، والآخرون(٢٠١٣). *الهوية و قضاياها في الوعي العربي المعاصر*. تحرير و تقديم رياض زكي قاسم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جوادي، هنية(٢٠١٧). «السرد و تشكل الهوية "قرائة في رواية البحث عن العظام للطاهر جاووت"». مجلة المخبر، ع١٣، صص ٨٥-١٠٦.
- الراوي ، شهد (٢٠١٦). *ساعة بغداد*. لندن: دارالحكمة.
- ريكور، بول(٢٠٠٩). *الذاكرة والتاريخ*. ترجمة و تعليق جورج زيناتي. دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- الرمادي ابو المعاطي خيري (٢٠١٤). «صراعات اثبات الهوية في الخطاب الروائي السعودي المعاصر صراعات المرأة الوافدة في البحريات نموذجا». *مجلة جامع القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات*، العدد ٣٣، صص ٤٣-٧٤.
- زايد، عبدالصمد (٢٠٠٣)، *المكان في الرواية العربية ( المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة)*، تونس: دار محمدعلي، دراسات أدبية، منوبة، ط ١.
- الصائغ، محمد ذنون زينو(٢٠١٣). «الاغتراب ومفاهيمه النفسية والاجتماعية». *آداب الرافدين*، ع ٦٨ صص ١٠٧-٥١٨.
- عباس، فلاح حسن و ثائر، فضل عيسي(٢٠٢١). «الانتلجينيسيا في روايتي ساعة بغداد لشهد الراوي و خواب زمستان گلي ترقي (دراسة مقارنة)». *مجلة آداب الكوفة*، ع ٤٩ ،صص ٥٩٣- ٦١٠.
- الغذامي، عبد الله (٢٠١٧). *الجنوسة النسقية أسئلة في الثقافة و النظرية*.مغرب: المركز الثقافي العربي، دارالبيضاء.
- كاظم نادر(٢٠١٦). *الهوية والسرد دراسات في النظرية والنقد الثقافي*. الكويت: دار الفراشة للنشر والتوزيع
- المستوني، مثنى عبدالله (٢٠١٣)، *حركية الفضاء في الشعر الأندلسي* (نصوص ابن زيدون الشعرية أنموذجاً). عمان: دار مجدلاوي للنشر و التوزيع.
- المناصرة ، عز الدين (٢٠١٣). *الهويات و التعددية اللغوية*(قراءات في ضوء النقد الثقافي). عمان: الاسل للنشر و التوزيع.
- النابلسي، شاكر (١٩٩٤)، *جماليات المكان في الرواية العربية*. الطبعة الاولى، بيروت: المؤسسة العربية.
- هلسا، غالب (١٩٨٩)، *المكان في الرواية العربية*، ط ١، دمشق: دار ابن هانى.


**Refrences**


- ʿAbbās, F. H., & ʿĪsā, F. ʿ. (2021). The intelligentsia in The Baghdad **Clock** by Shahad al-Rawi and Winter Sleep by Goli Taraghi: A comparative study. Majallat Ādāb al-Kūfa, (49), 593–610. [IN ARABIC]
- Al-Ghadhami, ʿA. (2017). Systemic gender: Questions in culture and theory. Casablanca: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.[IN ARABIC]
- Al-Manāṣira, ʿA. (2013). Identities and linguistic plurality: Readings in the light of cultural criticism. Amman: Al-Asal lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.[IN ARABIC]
- Al-Mastūnī, M. ʿA. (2013). The dynamics of space in Andalusian poetry: The poetic works of Ibn Zaydun as a model. Amman: Dār Majdalawi lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.[IN ARABIC]
- Al-Nābulusī, Sh. (1994). The poetics of space in the Arabic novel (1st ed.). Beirut: Al-Muʾassasa al-ʿArabiyya.[IN ARABIC]




[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

- Al-Ramadi, A. M. K. (2014). Identity assertion conflicts in contemporary Saudi narrative discourse: The conflicts of expatriate women in Al-Bahriyyat as a model. Majallat Jāmiʿat al-Quds al-Maftūḥa lil-Abḥāth wa-al-Dirāsāt, (33), 43–74.[IN ARABIC]
- Al-Rawi, S. (2016). Sāʿat Baghdād [The Baghdad clock]. London: Dār al-Ḥikma.[IN ARABIC]
- Al-Ṣāʾigh, M. D. Z. (2013). Alienation and its psychological and social concept]. Ādāb al-Rāfidayn, (68), 107–518.[IN ARABIC]
- Baʿlabaki, R. Z. Q. (Ed.). (2013). Identity and its issues in contemporary Arab consciousness. Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥda al-ʿArabiyya.[IN ARABIC]
- Bachelard, G. (2000). The poetics of space (G. Halsa, Trans.). Beirut: Al-Muʾassasa al-Jāmiʿiyya lil-Dirāsāt wa-al-Nashr.[IN ARABIC]
- Brockmeier, J., & Carbaugh, D. (2015). Narrative and identity: Studies in autobiography, self, and culture. Cairo: Al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjama.[IN ARABIC]
- Halsa, G. (1989). Place in the Arabic novel] (1st ed.). Damascus: Dār Ibn Hānī.[IN ARABIC]
- Jawadi, H. (2017). Narrative and the formation of identity: A reading in the novel Searching for Bones by Tahar Djaou. Majallat al-Mukhabbar, (13), 85–106.[IN ARABIC]
- Kāẓim, N. (2016). Identity and narrative: Studies in theory and cultural criticism. Kuwait: Dār al-Farāsha lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.[IN ARABIC]
- Ricoeur, P. (2009). Memory, history, forgetting (G. Zinati, Trans. & Annot.). Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīda al-Muttaḥida.[IN ARABIC]
- Zayed, A. S. (2003). Place in the Arabic novel: Image and significance. Tunis: Dār Muḥammad ʿAlī, Manouba University.[IN ARABIC]




[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]

فصلنامهٔ مطالعات روایت‌شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷
دانشگاه خوارزمی

# پیرنگ‌پردازی هویّت مکانی در رمان عراقی «ساعت بغداد»

فاطمه اکبری زاده[1]

**چکیده**

مطالعه مکان‌ها و موقعیت‌های زیست‌محیطی در جوامع انسانی صرفاً به مطالعات جغرافیایی محدود نمی‌شود، بلکه می‌توان مکان را از منظر فرهنگی و فکری در چارچوب نقد ادبی نیز بررسی کرد. رمان به‌عنوان اثری ادبی-اجتماعی، روایتگر رخدادهاست و از منظر اندیشمندانی مانند پل ریکور و هایدن وایت، این رخدادهای پراکنده را در قالب پیرنگی منسجم به داستانی پیوسته تبدیل می‌کند. در این فرایند، مکان‌ها و رویدادهای مرتبط با آن‌ها، در تجسم تنوع زندگی با زبانی زنده و گویا در کنار شخصیت‌ها حضور می‌یابند و به‌عنوان اسنادی فراتاریخی، در تقویت و غنای هویت نقش‌آفرینی می‌کنند. رمان *ساعت بغداد* نوشته شهد الراوی، از برجسته‌ترین رمان‌های معاصر عراق است که به بازنمایی وضعیت جامعه عراقی در فضای جنگ می‌پردازد و با تمرکز بر شهر بغداد و مکان‌های گوناگون آن به‌عنوان کانون رخدادها، این مکان‌ها را در قالب پیرنگی روایی ترسیم می‌کند. در بستر این روایت، تصویر فکری، فرهنگی و تمدنی شهر به‌عنوان نماد هویتی مردم کشور نقش می‌بندد. این مقاله با رویکرد توصیفی-تحلیلی به بررسی دلالت‌های مکان در رمان *ساعت بغداد* می‌پردازد و نشان می‌دهد که رمان با پیوند میان واقعیت و خیال، می‌کوشد تاریخ را در قالب هویتی روایی پیرنگ‌سازی کند و از این رهگذر، هویت جامعه عراقی، به‌ویژه بغداد، را در گذر زمان از گذشته تا آینده ترسیم نماید. در این اثر، مؤلفه‌های فکری، فرهنگی و تمدنی مکان بر پایه تجربه زیسته بازگو می‌شود، به‌گونه‌ای که هویت مکان از هویت فرد جدایی‌ناپذیر جلوه می‌کند. رمان، بغداد را به‌عنوان فضایی خیالی و زنده به تصویر می‌کشد، جایی که مکان‌ها به نمادهایی از حافظه جمعی، تعلق خاطر و زمینه‌ساز شکل‌گیری شخصیت‌ها و آگاهی جمعی تبدیل می‌شوند. یافته‌های پژوهش حاکی از آن است که نویسنده با ترکیب واقعیت و خیال، تصویری ادبی و مقاومتی از بغداد و مکان‌های آن ارائه می‌دهد و هویت روایی این شهر را از دل رنج، دلتنگی و امید می‌سازد. مکان در این رمان، از محله‌ها گرفته تا برج مأمون، از خانه مادربزرگ تا پارک الزورا و ساعت بغداد، از خلال حافظه شخصی راوی بازسازی می‌شود و دلالت فرهنگی، تاریخی و عاطفی دارد که ژرفای تجربه جمعی ساکنان آن را بازتاب می‌دهد.

**کلیدواژگان:** هویت، رمان، روایت شناسی عربی، مکان، ساعت بغداد.

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۰۹/۰۹ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۰۲/۳۱

فصل زمستان ۱۴۰۴ (سال هفتم، شمارهٔ ۱۹)، صص. ۵-۲۰

[1] دانشیار گروه زبان وادبیات عربی دانشکده ادبیات دانشگاه الزهراء(س)تهران، ایران. *f.akbarizadeh@alzahra.ac.ir*

CC BY NC

**ناشر:** دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی



[ Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-06 ]